

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

كلُّ مَنْ يُتصفَّح دواوين شعرنا العربي المعاصر ويطل النظر فيها يرى كثيرا من الاتجاهات الفنية الجديدة ، وهي اتجاهات فردية حيناً ، وجماعية حيناً ، فتارة يتجه الشاعر اتجاها خاصا به يستقل فيه عن غيره ، وتارة يتجه اتجاها عاما يساهم فيه مع طائفة من الشعراء ، إذ تنزع جماعة منهم منزعا يشترك فيه أفرادها بحظوظ وأقدار مختلفة .

وكثيراً من هذه الاتجاهات يهدف به أصحابه إلى تجديد شعرنا في مادته وصورته ، بحيث يرفع عن كاهله أعباء التقاليد العتيقة ، وينطلق في أجواء واسعة من حقائق حياتنا ، ومن الكون وأسراره ، ومن الإنسان وعواطفه وما تحلم به نفسه الظاهرة والباطنة .

وتتداخل في هذه الاتجاهات تأثيرات غربية ، ونحن جميعاً نعرف الاتصال المنظم بيننا وبين الغرب بتعلم لغاته الحية ، وبما اقتبسناه عنه من نيران الفكر والثقافة ، تلك النيران التي أذكت الجذوة الفنية في شعرائنا ، ودفعتهم إلى التطور بشعرهم تطورا خطيرا في شكله وموضوعه . فلم تعد تسيطر عليهم القصيدة القديمة بموضوعاتها الخاصة ، بل أصبحت تسيطر عليهم عواطفهم وحياتهم النفسية وحياة شعوبهم وما يختلف عليها من أحداث ، ويلم بها من خطوب . فكل ذلك يؤدونه ويستقصونه ويستوحونه ، كما يستوحون المثل والنماذج الغربية ، حتى في النسيج الموسيقي للقصيدة وما ينبغى أن تستقر أبياتها عنده من روى وقافية .

وليس معنى ذلك أن شعراءنا المعاصرين ينفصلون عن أسلافهم
وتقاليدهم الفنية الموروثة، فما يزال المجلّون السابقون منهم يحتفظون بشخصية
شعرنا ومقوماته اللفظية مع التمثّل الدقيق للشعر الغربي وأنماطه. فهم
مجددون، وهم في الوقت نفسه متصلون بالقديم، يعتدون به كما يعتدّون
بشخصياتهم ومقوماتهم المستقلة التي أهلتهم لها ثقافتهم وشعورهم الكامل
ببيئاتهم وعصورهم، وبأنفسهم وعقولهم ومواهبهم التي ينبغي أن لا تضع سُدى،
بل التي يجب أن تعبر عن شعوبهم ومثلها العليا من الخير والحق والجمال.

وبذلك لم يعد الشعر عندنا ألفاظاً تُرَصَّفُ رَصفاً لتؤلف قصيدة في
موضوع تقليدي، بل أصبح عملاً أدبياً جديراً بالناية والاهتمام لما يتضح
فيه من ذات الشاعر وذات أمته، ولما يرسمه أصحابه من ألوان الفكر
والحس والشعور.

وقد حاولت في الصحف التالية أن أعرض على القارئ صوراً لامعة
من دواوين هذا الشعر تميّز أصحابها بغير قليل من الشهرة، وهم موزعون
على العالم العربي، فلبصر حافظ إبراهيم وأحمد محرم وعباس العقاد وعلى
محمود طه، وللعراق معروف الرصافي وجميل الزهاوي، ولتونس أبو القاسم
الشابي، وللبنان إلياس أبو شبكة، ولسوريا عمر أبو ريشة. ولم أقصد إلى
الحصر والاستقصاء، فبين من لم أتحدث عنهم شعراء لهم نفس التألق والبريق.

وكل من هؤلاء الشعراء الذين درستهم نظرت إما في مجموع شعره أو
في ديوان خاص لفتني فيه اتجاه طريف، رأيت أن أصوره صورة تامة، حتى
تستبين معالمه وحدوده. وختمت هذا العمل بفصل عن ملامح شرقية في
شعر المهجر، لأدلّ على أن شاعرنا المعاصر، مهما غلا في تجديده، يُشدُّ
بأسلاك نفسية وروحية إلى أصوله العربية. فشاعر المهجر قد تأثر وتأثرا

عميقا بالغرب وآدابه ، وأنتج ما يمكن أن نسميه شعرا عربيا أمريكيا ، ومع ذلك لا نقرأ فيه حتى نرى روح العرب والشرق جاثمة مستقرة في قلبه وشعره . وأرجو مخلصا أن أكون قد صورتُ حقا اتجاهات من تعرضت لهم في مجموع شعرهم أو في بعض دواوينهم ، وفسَّرتُ طرَفا من خصائصهم الأدبية . وإني لأعترف بأن الكتابة في الشعر المعاصر شائكة ، وأن من الصعب أن يضع الكاتب نفسه في ظروف الشاعر الاجتماعية والنفسية وضعا دقيقا . ومع ذلك فقد حاولت ، وآمل أن لا أكون قصَّرت ، وعلى الله قصدُ السبيل ؟

سُوفى صيف

الناصرة في أول نوفمبر سنة ١٩٥٣ م .